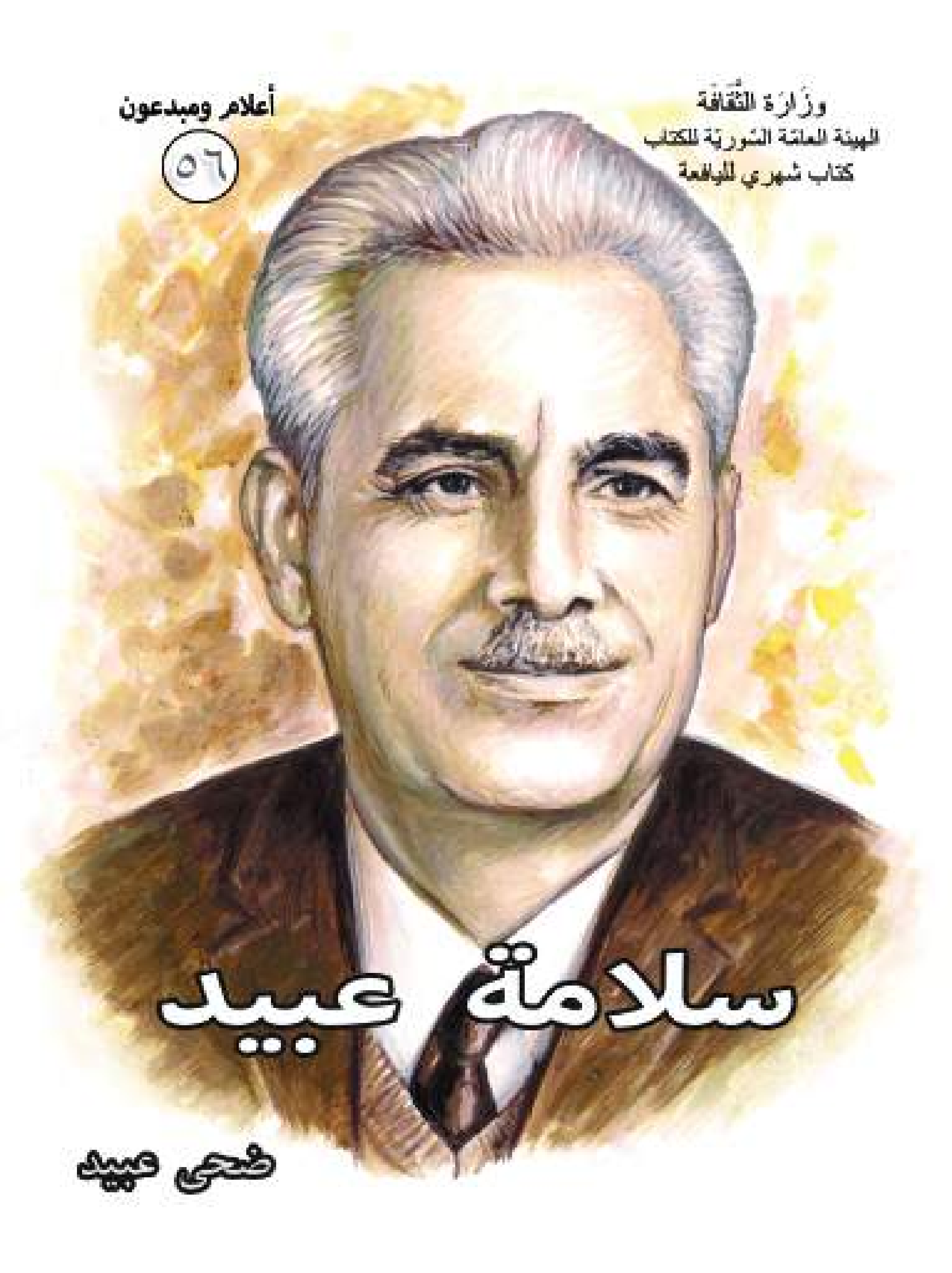


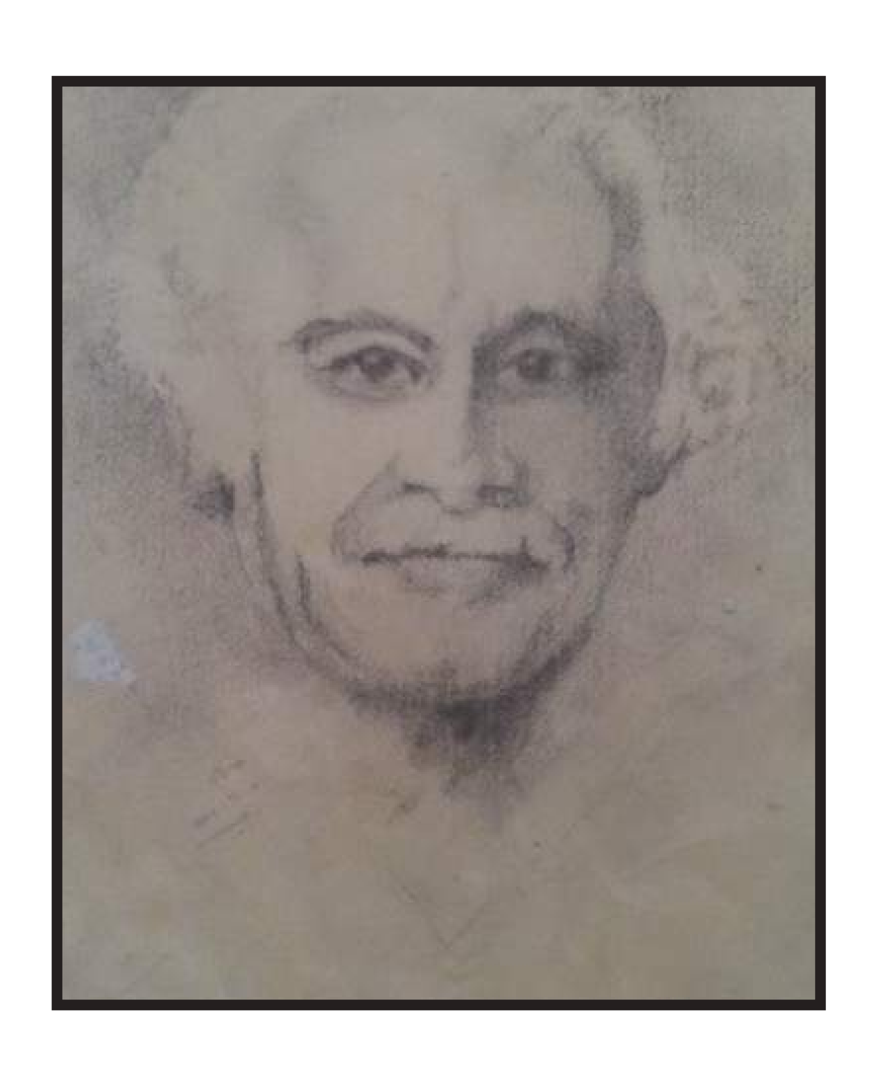
وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب
كتاب شهري لليافعة
أعلام ومبدعون
٥٦
سلامة عبيد
ضحى عبيد



سلامة عبيد

ضحى عبيد

الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب – مديريّة منشورات الطّفل
وزارة الثقافـــة – دمشق ٢٠٢١م



رسم ضحى عبيد

الساعةُ تجاوزت الواحدةَ ليلاً، والضوءُ الخافتُ يتسلّلُ من غرفة خالد. يبدو أنّه لا يزالُ أمامَ حاسوبِه. طرقَ الأبُ طرقتَينِ خفيفتين ثمّ فتحَ الباب، فوجدَ ابنه ينقرُ على لوحة المفاتيح، فقال له:

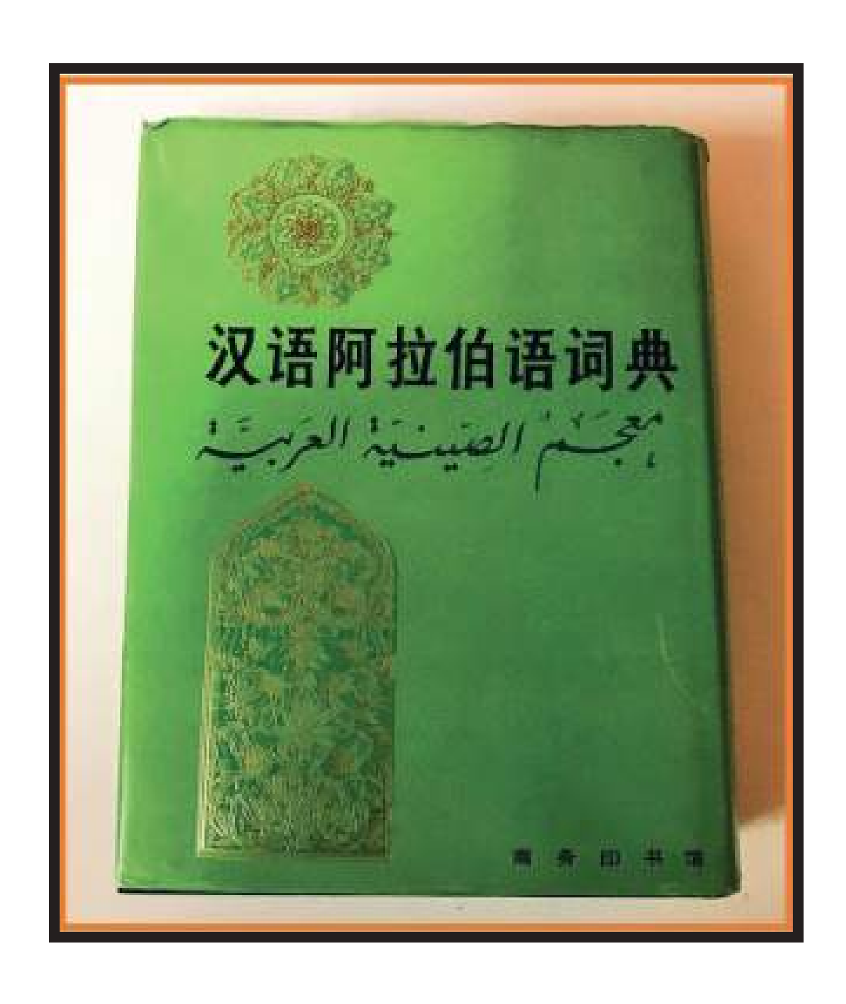
- يا بُنيّ! تأخَّرَ الوقتُ، وأخشى على عينيك، فاستخدامُ الحاسوب في العتم يؤذيهما، والغرفةُ باردةٌ جداً بلا مدفأة.

- أبي! أبحثُ في مُحرّك البحث (غوغل) عن شاعرٍ سوريّ لأكتبَ عنهُ.

- دعني إذاً أدلّكَ على شاعر، ومؤرّخ، وواضع قاموس صيني - عربي كبير، هو الأوّلُ من نوعِه في العالم. ما رأيُكَ في أنْ نبحثَ عنهُ غداً؟ سأُخرِجُ لك من مكتبتي بعضَ مؤلفات الشاعر وبعضَ المجلات التي كتبتْ عن حياتِه وأدبه.

- سأكونُ مسروراً يا أبي! أشكركَ كثيراً، وتُصبح على خير.

أطفأَ خالدٌ حاسوبَه معَ أنَّ الفضولَ تملّكَهُ لمعرفة من يكونُ الأديب.



في صباحِ يومِ الجمعة، اجتمعَ أفرادُ الأسرة حولَ مائدةِ فطورٍ شهيّة، عليها صحونُ الفول والحمّص والمُخلّلات بأنواعها، وبدأ الأبُ حديثَه:

هل تودّون أن تعرفوا من هو ذلك الأديب؟ وهل تعلَمونَ أن جدّكم التقى به في الصين؟

دهشَ الجميعُ، وقالَ خالد:

آه، لذلكَ أردتَ أن يكونَ بحثي عنهُ! هات أخبرنا يا أبي!

ضيّقَ الوالدُ عينيه، كأنّهُ يستعيدُ حديثاً وذكريات، وقال:

إنه الأديب سلامة عبيد، وقد أخبرني جدُّكَ أنّه التقى الشاعر في بكين، وأنه كانَ شخصاً هادئاً مثقفاً بعيداً عن التعصّب الديني أو العرقي، مُساعداً للطلاب السوريين والعرب، وقد تسابقَ العربُ والأجانب إلى دعوتهِ إليهم، يناقشهم في أمور ثقافية، ويستشيرونه في حلِّ مشكلاتهِم الشخصيّة، إذْ كانَ مُحدّثاً لبقاً، مُتقناً

اللغتــين الإنكليزيــة والفرنســية، وكانَ شــخصاً محبوبــاً يحترمــهُ الجميــع.

وجــدت الأمُّ نفســها تندفــعُ إلى أنْ تعــرفَ أكثــرَ عــن الشــاعر، فســألتْ:

يا تُرى هل نجدُ لهُ قصائدَ في المناهج المدرسيّة؟

أسرعتْ طالبةُ «البكالوريا»، وقالتْ:

نعــم، نعــم، وردتْ لــهُ قصيــدةٌ في كتابنــا، ونبــذةٌ عــن حياتــه.



وأضافَ خالد:

وأدرجــتْ لــهُ وزارةُ التربيــة في الكويــت قصيــدةً في مناهجهــا بعنــوان «أغنيــةٌ للحيــاة»، تجدونهــا عــلى (اليوتيــوب) أيضــاً.

تابعَ الأب:

لم يكـن سـلامة عبيـد شـاعراً فحسـب، بـل كانَ إنسـاناً فيـهِ صفـاتٌ نـادرةٌ مـن النُّبـلِ والتواضـع والبُعـدِ عـن بريـقِ المناصـب وطريـقِ النفـاق. وسـأروي لكـم قصّـةً تـدلُّ عليـه، حدثـتْ يـوم كانَ مديـراً للتربيـة في السـويداء، وقـدْ كتبهـا الصحفـيُّ إحسـان عبيـد، وهـي بعنوان «كبسـةُ المديـر»:

«ذاتَ يـومٍ، قـال الطـلاب: جـاءَ مديـرُ التربيـة باكـراً الى الإدارة. وهـو في الداخـل، رنَّ الجـرسُ السـاعة الثامنـة، ووقفنـا في الطابـور. جـاءَ طالـبٌ متأخـر يبـدو فقيـرَ الحـال. شـعرُ لحيتـهِ وشـاربيهِ نابـتٌ بوضـوح. يلبـسُ شـنتاناً أسـود قصـيراً وحـذاءً مـن (الكاوتشـوك) عـلى شـكلِ قـاربٍ مـن دون جوربَـين (كان هـذا الموديـل دارجـاً)، وقميصـاً مرقوعاً

من الكوعين، وصدريّةً صيفيةً بلا أكمام في صقيعِ صلخد القارسِ اللاسع. قالَ مدير المدرسة للطالب: ابقَ محلّك. ليبدوَ أمامَ مدير التربية أنه لا يتساهلُ في الضبطِ والربطِ مع الطلابِ المتأخرين. نظرَ الأستاذ سلامة إلى الطالب، ثم ناداهُ، وقالَ للطلاب: ادخلوا. واعتقدَ الجميع أن مدير التربية هو من سيتولّى عقاب الطالب، لأنَّ عادةَ الضربِ كانت شائعةً في المدارس. ومع أوّلِ فرصةٍ شاهدَ طلابُ المدرسة الطالبَ المتأخّرَ يلبسُ معطفاً جديداً. سُئِل: من أين هذا؟ قال: مدير المعارف أعطاني معطَفهُ».

ذلكَ المعطفُ كان المعطفَ الوحيدَ الذي يملكُهُ سلامة عبيد.

من ذكريات الطفولة

مـدَّ الأبُ يـدَه إلى مكتبتـه، وأخـرجَ كتابـاً صغـيراً بعنـوان «ذكريـات الطفولـة»، وفيـهِ أربـعَ عـشرةَ ذكـرى كتبهـا المؤلـف، وهـو في الستينَ مِـن عمـره.

فسألَ خالد:

– ولماذا تأخَّر في كتابتِها حتى الستّين؟

– يبـدو أنّ الأدبـاءَ لا يميلـونَ إلى سردِ ذكرياتهـم إلّا حـين يمتـدُّ بهـم العمـر قليـلاً، وتلـحُّ عليهـم الذكريـاتُ في أن ينقلوهـا مـن صدورهـم الى الـورق.

أخـذَ خالـد يقـرأ ويقـرأ، وقـد شـدَّه أسـلوبُ الكاتـبِ وذكرياتُـهُ في الجبـلِ والصحـراء ولبنـان.

ففـي النـصِّ الأول، وهـو «العـودةُ مـن المعركـة» يُصـوّر عـودةَ والـده مـن المعركـة عـلى فرسـهِ الحديديـة مخضّبـاً بالدمـاء، فيسـأله الطفـل:

– مَن جرحَك؟

- المدفع!

- اكسرهُ بالحجر.

ثم هتفَ، وهو يتلفّتُ حوله:

- أخي الكبيرُ أين؟

لم يسمعْ جواباً، لكنَّه سمعَ شهقةً عاليةً، ثمّ نحيباً متقطّعاً.

لقد استُشهِدَ أخوهُ في المعركة ضدَّ المستعمرينَ الفرنسيين.

أمّا الذكرى الثانيةُ التي انغمستْ فيها طفولة الشاعر فقد كانتْ في أواخر الثورة ربيع ١٩٢٦م، لمّا بدأ الجيشُ الفرنسي يطاردُ المجموعاتِ الثوريةَ، فحرصَ الرجالُ على أن يبقى الأطفالُ والنسوةُ بعيدين عن القواتِ الزاحفة، فالتجؤوا إلى مغارةٍ جبليّة، ومع المساءِ بدأ الجيشُ الفرنسي يقتربُ ويعسكرُ قربهم، فاجتاحت المغارةَ موجةٌ من الذُّعر، وأخذ الأطفال يبكون، فارتفعَ صوتُ أحدِ حرّاس المغارة:

- سَكِّتْنَ أولادَكُنَّ يا «حريم»!

لكنَّ طفلاً واحداً ظلّ صوتُه يرنُّ في أجواءِ المغارة، فتردّدُ أصداءَهُ، وتُضخّمُها، وتُضاعفُها.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

سألتْ أمُّ خالد بتلهُّف، وقلبُها يخفقُ بعنف، وهي تتخيّلُ مشاعرَ أمِّ الطفل في تلكَ اللحظة.

- ستكونُ أجملَ لو قرأتِها بأسلوبِ الكاتب. سأُحمّلها لكِ على هاتفكِ المحمول لتقرئيها على مهلك، أو إذا أحببتِ أمكنَكِ أن تذهبي إلى محرك البحث (غوغل)، وستجدين عنوانَ موقع الأديب، وعليهِ عددٌ كبير من أعمالهِ الجاهزة للتحميل.

أضافَ الأب:

- كبرَ الشاعر سلامة، وظلّت الذكرياتُ المُرّة تُلازمُه، ففي قصيدتهِ «ذكريات» يُصوِّر الفزعَ والتشرُّد وألم الأمهات، فيقول:

حَملتْني أُمّي مع النِّسوةِ الثكلى

وهامَتْ مَذعورةً في الشّعابِ

في كهوفِ الذؤبانِ ترجو مَلاذاً

لبَنيها من الطُّغاةِ الذئابِ

والحفاةُ الأيتامُ حولي جياعٌ

والأيامى في غصّةٍ وانتحابِ

لم يَعُدْ، لم يَعُدْ أخوكَ، وتبكي

ثم أبكي بدهشةٍ وارتيابِ

كادتِ الدمعةُ تفرُّ من عينَيْ أمِّ خالد التي قالتْ:

– يا الله! كم تحمّلتِ النساء في بلادِنا من مرارة!

– ولذلك يروي معارف المؤلف أنّه كانَ يحملُ للأمِّ وللمرأة عامّةً العِرفانَ والاحترام.

إلى لبنان

ربّتَ خالد على كتفِ أُمِّهِ، وقال:

سأُعِـدُّ لك أطيبَ فنجانِ قهوةٍ مع الهال.

جـاءَ بالصينيـة، وتربَّـع عـلى الأرض، فهـو يحـبُّ هـذه الجلسـة، وسـألهم:

– هل تُـحبُّونَ أنْ أُكملَ لكم ما قرأْتُهُ عن الشاعر؟

لم ينتظـرْ جـوابَ الأم، فقـد أحـسَّ بأنهـا تتابعهـم بشـغفٍ كبير .

– لقـد كانَ الشـاعر في الثامنـةِ مـن عمـرهِ لـمّـا سـألوا والدتَـهُ إذا كانـتْ ترغـبُ في أنْ يتعلّـمَ أحـدُ أولادِهـا في لبنان في منحـةٍ مُقدَّمـة إلى أبنـاء المجاهدين، فلم تُـجِبْ، واختنقتْ بدمعهـا، فابنُهـا البكـرُ شـهيدٌ في معركـةِ السـويداء، وولدُها الثـاني الـذي اغتالَـهُ المسـتعمرون الفرنسـيون بـدسِّ السـم لـه لا يـزالُ مأتـمُهُ قائـماً، وهـذا الثالـث يُنتـزَع مـن حضنِها. لقـد بكـتْ سِرّاً، ولم تشـتَكِ، ولم تُولـولْ، بـل أخـذتْ تخيـطُ

لـه قميصـاً جديـداً للمدرسـة!

قالتْ أمُّ خالد:

– يا الله! ما أعظـمَ إيمانَ تلكَ المرأة!

وفي المدرسـة التـي وصـلَ إليهـا الطفـل، كان أحـد أسـاتذته الأديـب مـارون عبـود، وهـو الـذي عـرفَ موهبتـه الشـعرية ورعاهـا، وقـالَ عنـه:



صورةٌ حقيقية، وقد يكونُ هذا الطفلُ الصغير في الصَّفِّ الأمامـيّ هو الشاعر!

«الديكُ الفصيح من البيضة يصيح»، وهو لا يزالُ في التاسعة من عمرِه، وخصّص له، فيما بعد، بحثاً في كتابهِ «نقداتُ عابر».

بعدَ الظهرِ، ومع بخارِ الشاي المعطّر بورقِ النعناع، سأَلَ خالدٌ والدَهُ:

- يا أبي! لقد أنهيتُ الذكرى الثالثة، وهي بعنوان «فدعان» الطفل الذي ضاعَ في صحراء السعودية، فلِمَ ذهب الثوار إلى هناك؟!

- اسمعْ يا بُنيّ! بعد أن صمدَ الثوار عامين كاملين (١٩٢٥ - ١٩٢٧م)، وهم يواجهون الطائرات والدبابات والمدافع ببعض السيوف والبنادق القديمة، وبعدَ أن قدّموا آلافَ الشهداء، اضطرّوا إلى اللجوء إلى الأردن، فضيّق عليهم المستعمرون الإنكليز، وكانوا يدفعون أحياناً ثمنَ شربة الماء فرساً وبارودة، وآثروا المنفى على العودة إلى سورية والاستسلام للمستعمرين، فانتقلوا جنوباً إلى صحراء نجد، وهناك في (النَّبَك السعودية) عانَوا من البرد والجوع والحرِّ، وتحمّلتِ النساء مع

الرجـال مـرارةَ النفـي والتـشرد بصـبرٍ عجيـب! كانـوا أحيانـاً لا يجـدون مـا يأكلونـه سـوى النباتـاتِ البريّـة الشـائكة، بـل الجـراد أحيانـاً! أمّـا الأطفـالُ فقـد كانـوا حُفـاةً، أشـباهَ عُـراةٍ، يرعـون أغنامَـهم، ويفترشـون الرّمـلَ مـرّات، يُعلّـمهم شـيخٌ يُدعـى «بوزيـن الديـن» بضعـةَ أسـطر مـن كُتـبٍ جُـلِبَت مـن القـدس.

لذلـك فـإنَّ هـذه الطفولـةَ القاسـية علّـمتِ الشـاعرَ الصـبرَ والتواضـعَ والإبـاءَ والشـجاعة. كتـبَ مـارون عبـود في مقدّمـة ديـوان الشـاعر «لهيـب وطيـب»:

«لـو لـم يحترقْ سلامة في جحيـم الألم ولهيبهِ لَـمَـا خرجَ مـن رأسـهِ ذاكَ الطِّيب».

فيلم عِناد السّنديان

أمامَ بيتٍ متواضع ثبّتَ المصورُ آلةَ التصوير المحمولة، وبدأ يُصوّرُ درجاتِ البيت الحجريةَ وشجرةَ الزيتون الوحيدةَ أمامَه، ثم يدخلُ غرفةَ الضيوف، ويركّزُ آلةَ التصوير على صورةٍ كبيرة بالأبيض والأسود لرجلٍ أشيبَ ذي عينين ناعمتين ونصفِ ابتسامة، أمامَهُ مجموعةٌ من الكُتب. إنها صورةٌ للشاعر سلامة عبيد.

المُصوّرُ هو الدكتور سمير جبر يرافقُهُ المخرجُ رياض هاني رعد ضمنَ فريق تلفزيونيٍّ يُعِدُّ فيلماً عن الشاعر بعنوان «عناد السنديان»، وقد عُرِضَ في التلفزيون وفي المراكز الثقافية.

سألَ خالدٌ:

– ولِمَ اختاروا له هذا الاسم؟

– يمكنُكَ أن تعرفَ أنّ الشاعرَ مع كلِّ ما قاساه من الشقاء ظلّ ثابتاً وشامخَ الرأسِ كالسنديانة. يقولُ في

قصيدتـه «لا، لـن أكـون»:

لا، لن أكونَ

وما خُلِقْتُ لأن أكونْ

قصباً يُرجّفُهُ النسيمُ، وتستخفُّ به الرياحْ

ويذلُّ في وجهِ الأعاصيرِ الغضابِ فيُستَباحْ

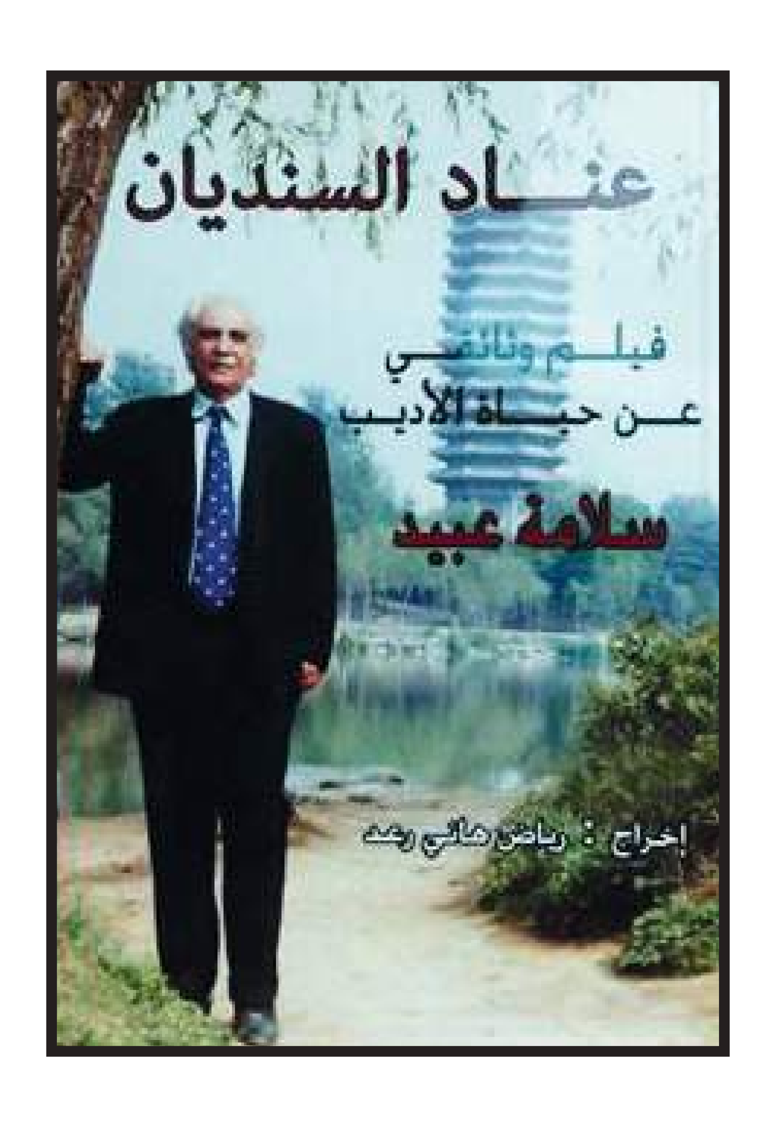
ويظلُّ مُرتجفاً، يُقبّلُ، في المساءِ وفي الصباحْ

قدمَ الأعاصيرِ الغضابْ

حتّى تَعفّرَ بالتُّرابْ

لا، لن أكونْ





فيلم وثائقي عن حياة الأديب عُرض في التلفزيون وفي عددٍ من المراكز الثقافية ودور النشر

في لبنان

يعـودُ خالـدٌ إلى بعـض الكتـب يُقلّـبُ صُـورَ الكاتـب، فيجـدُ لـه صـورةً بلبـاسِ التخـرُّج، وهـو يتَسلّـمُ شـهادةَ الماجسـتير في التاريـخ بدرجـة الـشرف عـام ١٩٥١م مـن الجامعـة الأمريكيـة في بـيروت، ومـن خـلالِ بعـضِ الصـور يعـرفُ خالـدٌ أنَّ الكاتـبَ في أثنـاء دراسـتِه كان زوجـاً للشـابّة أمـون قائدبيـه وأبـاً لطفلتـين.

قالتِ الأمّ:

كيـفَ لم يتعلّـقْ بثـوبِ أمِّـه؟! كـم كانَ طموحـاً منـذُ صغـرِه! لقـد رفـضَ أن يبقـى يُـردِّدُ سـطوراً كالببغـاء حفظَهـا مـن الشـيخ.

أضافَ الأبُ:

مـن الـمؤكّدِ أنّ زوجتَه تحـمّلتْ معهُ صعوبـةَ العيش، إذْ عاشـا في غرفـةٍ واحـدة في بـيروت، هي للدراسـة وللمعيشـة وللضيـوف أيضاً.

ولطفلتــهِ الأولى كتــبَ قصيــدةً بعنــوان: «إلى ابنتــي» في الشــهر العــاشر مــن عــام ١٩٤٦م، وهــي مــن الشــعر الحديــث، ونُـشِرَتْ في مجلّـة القيثـارة عـدد نيسـان ١٩٤٧م.

نَـشَرَتْ مجلّـةُ القيثـارة القصيـدةَ كاملـةً، وهـذا جـزءٌ منها عــن (غوغل):

إلى ابنتي

يا بنتي! فتحتِ عينيكِ على دنيا ضياءٍ وحنان

وأناشيد حِسان

فتطلّعتُ كئيباً، وبكيت

وهبوكِ الثديَ ريّانَ شهياً، فأبيت

فلماذا - يا بنتي - جئتِ حزينه

عالماً لا تعرفينه؟!

نادتِ الأمُّ ابنَها للعشاء، إلّا أنّه أجابَ:

لستُ جائعاً. اسبقوني، إنما خلّوا لي من فطائرِ الكشك.

رفعت الأمُّ صوتَها، وهي تصبُّ الشاي:

تعالَ تعشَّ! الفطائرُ لذيذةٌ، وهي ساخنة.

تناولَ عشاءَهُ، وعادَ إلى حاسوبِه، فوجدَ نفسَه في بحرٍ من أعمالٍ قيّمة، فحارَ في ما يختار. ماذا يُدوِّن؟ وماذا يترك؟ لقد أدهشَهُ ذاكَ الأديبُ المُتنوّعُ واهتماماتُهُ وسِيرتُه.

لقد كانَ شاعراً ومؤرّخاً وروائياً ومترجماً، ومهتماً كذلك بالفنون والآثار والبيئة والمسرح، وقد دهشَ خالدٌ لمّا علمَ أن الشاعرَ ألّفَ المسرحيةَ الشعرية «اليرموك»، وهو في الحادية والعشرينَ من عمرِه، وقد مُثِّلت في السويداء عام ١٩٤٣م، وفي القاهرة عام ١٩٤٧م، وفيها يقول:

والآن هيّا فقد حنّتْ جوانحُنا
إلى دمشقَ، ونادتنا المواعيدُ
إلى دمشقَ التي في الحربِ يُطربُها
وقعُ السلاح وفي السلمِ الأغاريدُ
إلى دمشقَ التي في ظلِّ دوحتِها
شابَ الزمانُ، وما تذوي الأماليدُ

وكان يقومُ بالأدوارِ النسائية شُبّانٌ يرتدون ملابسَ النساء حين لا يجدونَ من تقبلُ بالظهور على المسرح!

وكذلك أدهشَتْهُ الترجماتُ الأنيقةُ لأدبِ الرحلات، كترجمتهِ لكتاب: «رحلاتٌ في جبلِ حوران للقس بورتر»:

«إن الأرضَ هنا لا تنافسُها أرضٌ في الخصب، وقمحُها أحسنُ قمح في سورية».

والصورُ مادّةٌ محببةٌ إلى الجميع، يُقلّبُ خالدٌ مجلّاتٍ وكتباً، فيجدُ صورةً لشابٍّ بلباسِ الكشافة، واقفاً يُلقي تحيّةَ الكشافة. إنّها للشاعر عام ١٩٤٣م، فقد

اهتــمَّ بالحركـة الكشـفية اهتماماً كبـيراً، وإلى جانـبِ هـذا كلّـه، فقـد كان مديـراً للتربيـة، ومديـراً لنـادي الفنـون، وبيـتِ اليتيـم، وكان عضـواً في مجلـس الأمـة أيـامَ الوحـدة بـينَ سـورية ومـصر.



رواية «أبو صابر»
الثائر المنسيّ مرّتين

الغرفةُ دافئةٌ هذه الليلة. المدفأةُ الكهربائية تكسرُ حدّةَ البرد. تركَ خالدٌ حاسوبَه، وبدأَ بقراءةِ رواية «أبو صابر»، وهي قصّةٌ حقيقيةٌ لبطلٍ من السويداء اسمهُ «حمد ذياب».

حمدٌ شابٌّ أغرتهُ بدلةُ الجنديّ الفرنسيّ بأزرارِها الذهبيةِ اللامعة، والراتبُ السخيّ، فالتحقَ بالجيش الفرنسي إلى أن بدأ يرى أن المستعمرين الفرنسيين يظلمونَ شعبَه، وأنهم لم يأتوا لنشرِ الحضارة كما زعموا، فتمرَّدَ عليهم، وضربَ ضابطاً فرنسياً، والتحقَ بالثوار، ولمّا اعتُقِلَ حُكِمَ عليه بالإعدام، ثم خُفِّفَ الحكمُ إلى الأشغالِ الشاقة في جزيرة الغويانا التي كانت تُسمّى «جزيرة الشيطان» حيثُ الغاباتُ الكثيفة والأفاعي

والملاريا، وحيثُ تسحقُ جذوعُ الأشجار الضخمة رؤوسَ السجناء في أثناء نقلِها إلى البواخر.



لـمّــا أنهـى خالـدُ الروايـة شـعرَ بالزهـو والحـزن معـاً، فقـد تمنّــى لـو أنَّ الخاتمـةَ لم تكـنْ بتلك الصـورة الــمُوجِعة، لكـنَّ الأديـبَ كان يـزورُ حمـد إثـرَ العفـو عنـه، وعودتـهِ من المنفـى بعـد أن أمـضى هنـاك عشريـن عامـاً، ومـاتَ كثـيرٌ مـن رفاقـه، وكان يحكـي والأديـبُ يُسـجِّلُ كلامـه، وقـد آثر أن يظـلَّ صادقـاً في نقـلِ روايـة حمـد، ولـمّــا فـازتِ الروايـةُ بجائـزة وزارة الثقافـة عـام ١٩٧٠م، قـدّمَ الكاتـبُ الجائـزةَ الماليّـةَ إلى حمـد، معتـبراً أنّـهُ البطـلُ الأحـقّ بهـا.

الثورةُ السُّوريّةُ الكبرى
على ضوء وثائق لم تُنشَر
١٩٢٥ ـ ١٩٢٧م

- أبي أينَ يُـمكنني أن أجدَ هذا المرجعَ التاريخـيّ؟

- كان موجـوداً لـديّ، لكـنَّ أحـد الأصدقـاء اسـتعارهُ، ولم يُرجِعْـهُ بعـد. يُـمكِنُكَ أن تـجدَهُ في المركز الثقافـيّ.

لقـد عمـلَ الكاتـبُ عليـه ربـعَ قـرن، يجمـعُ وثائـقَ ورسـائل، وسـاعدَهُ النـاسُ لثقتهـم بـه ومحبّتهـم لـه، فقدّمـوا إليـه مـا لديهـم مـن صـورٍ ووثائـق ومراسـلات، فـكان الكتـابُ مرجعـاً يتـميَّـزُ بالدّقـة والموضوعيـة.

قالَ خالدٌ:

يـبدو أنَّ مُذكّـرات والـدِه المجاهـد علـي عبيـد وديوانـه في الشِّـعر الشعبـيّ «ربابـة الثـورة» قـد سـاعدا المؤلّـف في

كتابِـه، إذ كانَ والـدُهُ أمـينَ سرِّ الثـورة، واسـمُهُ الحركــيُّ «عــين الزمــان».

ابتسمَ الأبّ:

كأنّـكَ تفوّقـتَ علــيَّ في البحث عـمّــا كُتِبَ عن سـلامة عبيد .

الأمثالُ الشعبيّة

قالَ الأبُ صباحاً: يا أمَّ خالد! هاتي لنا مَثَلاً شعبياً.

قالت: «الضّيف المنظوم بيشربْ القهوة وبيقوم».

ضحكَ الأبُ، وقالَ: ولدينا عكسُه: «الضيف الشرشوح بياكل وبيروح».

لقد طلبتُ إليك ذلك لأنني أعرفُ أنك تُحبّينَ الأمثالَ، ولأنَّ الأستاذَ سلامة عبيد اهتمَّ بالأمثال الشعبية، وجمعها في كتابٍ على مدى عشراتِ الأعوام، وقد نَشرَتْ وزارةُ الثقافة في سورية الكتاب الذي كان مرجعاً أخذَ منه الكثيرون، فهو يذكرُ المثلَ، ويشرحُهُ، ويحكي مناسبته إذا وُجِدَتْ، مثل:

« الضيف أوَّل يوم بدر مدوّر، وثاني يوم رغيف مقوّر، وثالثْ يوم قِرد مصوَّر». مدوّر: مستدير/ كامل. مقوَّر: مُفرَغ، لم يبق منه إلا أطرافه. القرد: رمز القبح.

يقابله المثل الصيني: «الضيفُ مثلُ السمكةِ تفسدُ في اليوم الثالث».

وكذلك ترجم عدداً كبيراً من الأمثال الصينية مثل: «الكلمة إذا خرجت، مئة حصان لا يُرجِعُها».

قصصٌ وأغنيات للأطفال

سألتْ أمُّ خالد:

وهل كتبَ أغنيات للأطفال أو قصصاً؟!

قرأتُ في غوغل أنّه نشرَ في مجلّة أسامة قصصاً، وأنّه كتبَ أغنيات للأطفال، وهذه قصيدةٌ له يقولُ فيها:

يا هَلا بالشِّتا

يا هلا بالمطرْ

مرحباً بالشِّتا

مرحباً بالمطرْ

***

في الرُّبى والمروجْ

راقِصاتُ الثلوجْ

فالسواقي ربابْ

والغصونُ الوتَرْ

***

مرحباً بالشِّتا

مرحباً بالمطرْ!

يا هَلا بالشِّتا

يا هَلا بالمطرْ!

تحمّستِ الأم، وقالتْ:

- سأكتُبها غداً لتلاميذي الصغار في المدرسة، ولعلَّ مُعلّمةَ الموسيقا تُلحّنها لهم.

- إذاً انتظري يا أمي لأُسمِعَك من (اليوتيوب) قصيدتَه «هتفَ النصر»، فقد لُحِّنتْ، وغنّاها مطربٌ مصريٌّ كان مشهوراً في ذلكَ الوقت، وهذا النشيدُ قد فازَ في مسابقة نشيد الجيش عام ١٩٥٣م.

تباهى خالدٌ بالمعارف التي جمعَها، وبأنّ بحثَهُ سيكونُ مُميّزاً، وبأنَّ أُسرتَهُ تتعاونُ معه، فتابعَ:

- سأخبرُكم أمراً. على الرغم مِن أنّهُ كانَ جدّياً

في حياتِـه، إلّا أنّ لـهُ القُـدرة عـلى السـخرية الموجعـة إلى حـدِّ الإضحـاك بنقـدِه الأوضـاع السياسـية والاجتماعيـة، فاسـمعوا هـذا النـصَّ، وضعـوا لـه عنوانـاً:



القصيدة الفائزة بالجائزة الاولى في مسابقة "نشيد الجيش"

لطمتْ على الخدّينِ طاهيةٌ

وتطلّعَتْ في الدُّرجِ مُحتارةْ

لمّا رأتْ آثارَ قاضمةٍ

في جبنةٍ بيضاءَ مُختارةْ

جاءتْ، وألقتْ فيه هرّتَها

لتَرُدَّ عنها نكبةَ الغارةْ

لكنّها عادَتْ، فما وجدَتْ

لا الجبنةَ البيضا، ولا الفارةْ

هتفوا معاً:

– حاميها حراميها!

– تماماً، ولكم مني أطيبُ إبريقٍ من الزهورات الشامية!

ابتسمتِ الأم، وقالت:

– كأنّكَ لم تذكرْ لنا شيئاً من شعرِ الغزل عند الشاعر؟ أليسَ لديهِ شعرٌ غزليٌّ؟

– بلى، لقد كتبَ قصيدةَ الغزل، وهو في الثامنةَ عشرةَ من عمرِه. اسمعي:

لستُ أدري

لستُ أدري، حبذا لو كنتُ أدري

أيّ شيءٍ فيكِ لا يسّبي، ويُغري

قدُّكِ الممشوقُ يا أُختَ الربابِ

أم صفاءُ اللونِ، أم بُردُ الشبابِ

أم لذاذاتُ الحديثِ المُستطابِ

والحيا يُرسي على الخدِّ، ويجري

في قلوعٍ من خيوطِ الفجرِ حُمّرِ

أيُّ عطرٍ لم يُضمِّخْ راحتيكِ

أيُّ سحرٍ لم يَفِضْ من مُقلتيكِ؟!

أيّ خمرٍ لم تَجُلْ في شفتيكِ؟!

عبثاً يطمعُ في السكرةِ ثغري

وفؤادي مُغلَقٌ عن كلِّ سُكّرِ

(السويداء ١٩٤٠م)

ولأنّ حياتـه اتّسـمَت بالعمـل والجـدّ والتوجُّـه إلى أمـور أكثـر أهميّـة، فقـد كان مُـقِلاً في نـشر قصائـد الغـزل.

في الصِّين

وصلَ الشاعرُ إلى الصين لتدريسِ اللغة العربية عام ١٩٧٢م، وكانت الصينُ يومَها لا تزالُ مُغلقةً ومنطويةً على نفسِها، حذرةً من كلِّ أجنبيّ، فلم تسمحْ لأيٍّ منهم بأن يزورَ بيتَ إنسانٍ صينيٍّ، ولو في الأعياد، ففي أولى رسائلِ الشاعر سلامة كتبَ يصفُ وحدتَه في تلكَ البلاد البعيدة:

«أكتبُ لنفسي، وأطالعُ المجلات، أما الراديو فلم أسمعْهُ منذ وصولي، (روبنسون كروزو) في عاصمةٍ بدلاً من جزيرة».

ويُعبّرُ في إحدى رسائلهِ عن ألَمِه، وفخرِهِ بأخيهِ الشهيد كمال في حرب تشرين، فيقول:

«لم يُفاجئْني موتُه. كنتُ أعرفُ أنه لن يعودَ هذه المرّة».

وحينَ تجيءُ الأعيادُ، وتجتمعُ الجدّةُ الصينيةُ

بأحفادِهــا، يشــعرُ ســلامة بالحنــين الكبــير، وهــو وحيــدٌ هُنالــك، فيكتــب:

أمّا أنا فليسَ لي في غُربتي جليسٌ

وليسَ لي أنيسٌ

إلّا خيالٌ شاعريٌّ حزينٌ

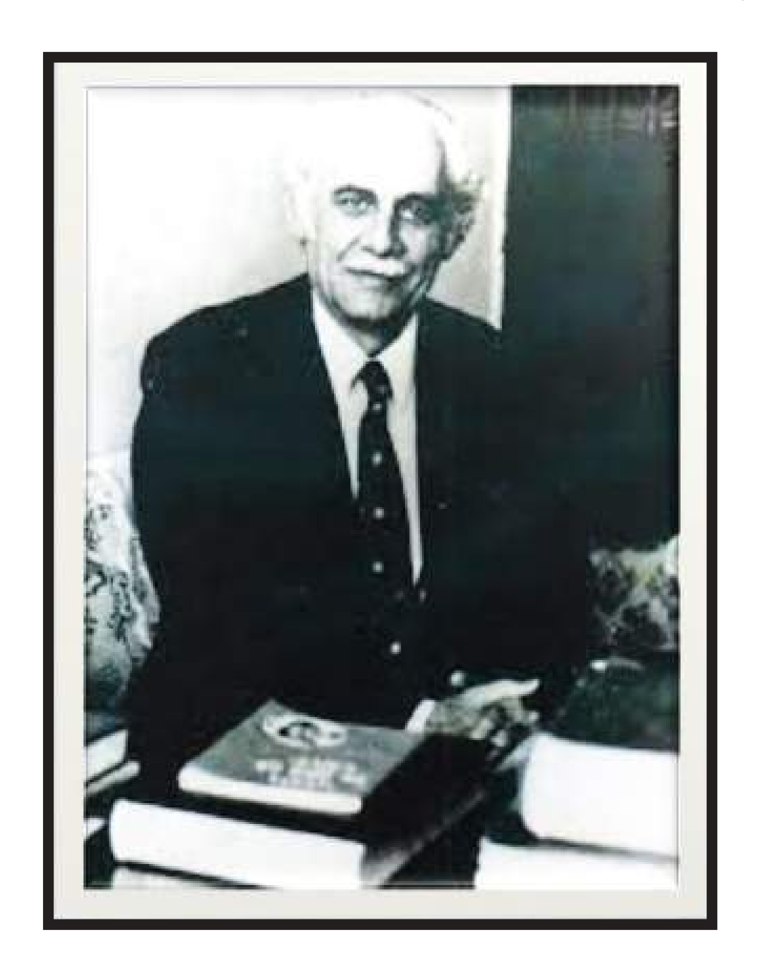
يُوقدُ في جنبَيَّ نارَ الحنينْ

فأُغمِضُ الأجفانْ

وتحرقُ الخَدّينِ دَمعتانْ

وفي كلّيـة اللغـات الشرقيّـة في بكـين، كان لـه دورٌ كبـيرٌ في إنشـاءِ قسـم اللغـة العربيّة، وقـد درّبَ كادرَهُ التدريســيّ، ووضـعَ عـدداً مـن الكتـب الجامعيـة للقسـم، ولـمّــا كانَ الشـاعرُ يعـودُ مـن جامعتـهِ لا يقـولُ: انتهـى عمـلي! بـل كان يجلسُ إلى طاولتـهِ سـاعاتٍ يُؤلّـفُ القامـوس الصينــيّ – العربــيّ الكبـير، وهـو الأولُ مـن نوعِـهِ في العـالم. كـما أنه أنجــزَ قواميـسَ كثـيرةً، منهـا: «القامـوسُ الــمُبوَّب»، وهو قامـوسٌ صينــيٌّ – عربــيٌّ يحتـوي أكثـرَ من عشريـنَ فصلاً،

خصّـصَ كلَّ واحـدٍ منهـا لحقـلٍ مُعـيّنٍ مـن الكلـمات، كالكلـمات التـي تخـصُّ الزراعـةَ أوِ الصناعـة وغيرهـا، ثـم قامـوس الأمثـالِ الصينيـة مـع شرحِهـا، ومـا قـد يُقابلُهـا في العربيـة.



قالَ خالدٌ:

سـأضيفُ إلى معرفتـك يـا أبي أنَّ مواقـعَ التواصـل الاجتماعـيّ تنشرُ لـه بعـضَ رسـائلهِ التـي كتبَهـا إلى أولادهِ أو أصحابـه، وهـذه الرسـائلُ تـدلُّ عـلى الجهـدِ الكبـير الذي بذلَـهُ في إنجـاز القامـوس، الـذي اسـتهلكَ مـن عمـرِه أكثرَ مـن عـشر سـنوات، فـكان لا يكتفـي بـشرح المفـردة، بـل يـأتي بمثـالٍ عليهـا، أو آيـة، أو معلومـة تاريخيـة أو جغرافيـة. وقـد نـشرَتْ ابنتـه سـلمى في كتـابٍ وضعتْـهُ عنـه نصّـاً مـن رسـالةٍ لـه بخـطّ يـده يـشرحُ فيهـا عملَـهُ المرهـقَ وجلوسَـه الطويـلَ وراءَ طاولتـه، ذلـك الجلـوس الـذي سـبّبَ لـه جلطـةً في السـاق، وأرقـدَهُ في المستشـفى ثلاثـةَ أشـهر، وقـد حـذَّرَهُ الأطبـاء مـن التعـب، لكنّـه بعـد خروجـهِ تابـعَ العمـلَ عـلى القامـوس، قائـلاً:

«لم يبقَ إلا شهران لأُنْـهِـيَه، فإمّا أن يُنْـهِـيَني أو أُنْـهِـيَه».

توقّفَ خالدٌ عن الكلام، وبدا عليه التأثُّـر، ثـمّ قال:

لقـد أنهـى القامـوسَ، لكنّـهُ كانَ قـد فعـلَ فِعْلَـهُ في جسـدهِ، فأوهنَـهُ، وأضعفَـهُ، وسـارَ بـه إلى طريـقِ النهايـة.

تدخّلَ الأبُ، وقالَ:

أجـل، ولعـلَّ في قصـةِ موتِـه أبلـغ الموعظـة والأثـر، فقـد تمـنّـى الأسـتاذُ سـلامة مـن الله في إحـدى قصائـدِه ألّا يُغمـضَ جفونَـه في غـيرِ أرضِ بـلاده، وأن يُـمتّعَ ناظريـه برؤيتهـا، حتـى ولـو يومـاً واحـداً، فقـالَ في قصيـدة «الله والغريـب»:

يا ربِّ، لا تُغمضْ جفوني هُنا

هنا، قلوبُ الناسِ بيضاءُ

وأرضُهُم ماءٌ وأفياءُ

لكنَّ بي شوقاً إلى أرضي

لجبل الريّانِ والساحلْ

أُلقي عليها نظرةَ الرَّاحِل

وهـذا مـا حـدثَ، فقـد تُوفّـي بعـدَ يـومٍ واحـدٍ مـن وصولـهِ إلى أرضِ الوطـن.

قالت الأمّ:

– يبدو أنّ الله استجابَ دعاءَ مُؤمن!

وقـد نَعَتْـهُ وكالـةُ أنبـاءِ الصـين الجديـدة «شـينخوا»، فقالـتْ:

«إنّ شـاعراً وأديبـاً سُـوريّاً وضـعَ القامـوسَ الصِّينـيّ – العربـيّ، ودرَّسَ لـمُدّةِ عشرِ سنواتٍ في جامعة بكين تُوفـّيَ أمسِ الأول في مسقطِ رأسـهِ في السـويداء جنـوبَ سـورية عـن ثلاثـةٍ وسـتِّينَ عامـاً».

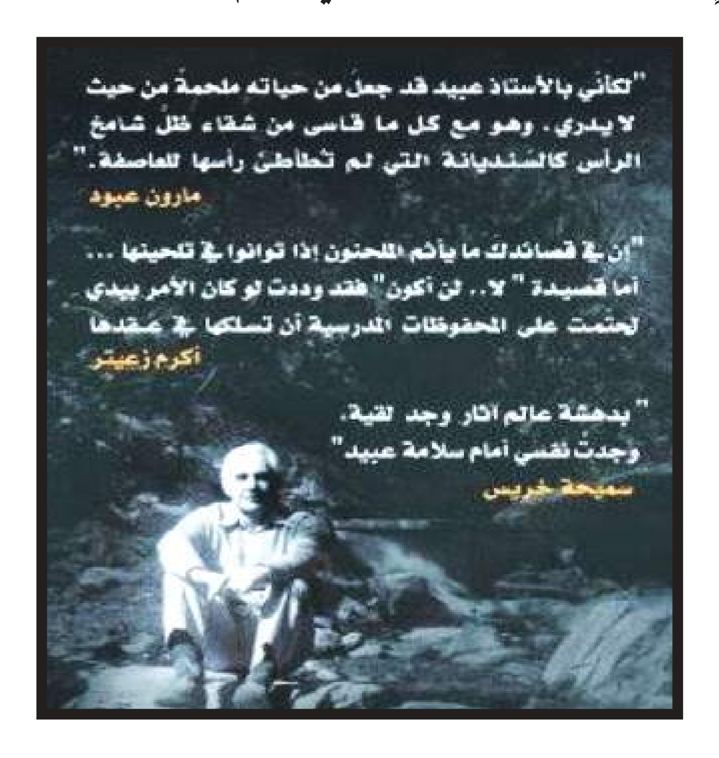
النّدوةُ النقديّةُ التكريـميّة

أقامــت وزارةُ الثقافــة في الجمهوريــة العربيــة الســورية للأديــب الراحــل ســلامة عبيــد نــدوةً تكريميــةً في المركــز الثقافــيِّ العــربي في الســويداء عــام ٢٠٠٧م، وكانــت الندوة باقــتراح مــن الشــاعر الدكتــور ثائــر زيــن الديــن مديــر الثقافــة في الســويداء آنــذاك، وقــد اســتمرّتْ أيامــاً عــدّة، وكانــت مهرجانــاً ثقافيــاً مميــزاً، إذ دُعــيَ إليهــا أدبــاء ونُقّــاد مــن ســورية والوطــن العربــيّ احتفــاءً بالأديــب الراحــل، كــما ســعى الدكتــور ثائــر زيــن الديــن إلى تســمية قاعــة المطالعــة في المركــز باســم ســلامة عبيــد، وحــدث ذلــك بمباركــة وزارة الثقافــة.

كانَ الاحتفــالُ مُـمــيّزاً. البهــو ومُدرّجـات المركز غصّتْ بالحضــور. بعــضُ الحافــلات الصغــيرة التــي أَتَــتْ مــن قــرى الجبــل كلهــا، عــادتْ برُكّابهــا إلى قراهــم، فقــد امتــلأ الــمُدرّجُ والبهــو الخارجيّ بالشــيوخ والنّســاء والشــباب، وبعضُهــم جــاءَ بــأولادهِ الصّغــار ليتعرّفــوا رَجُــلاً تــركَ

بصمــةً في مدينتِــهم.

قالــت الأديبــةُ الأردنيّــة سـميحة خريــس: «بدهشــةِ عــالم آثــارٍ وجــدَ لقيــةً، وجــدتُ نفـسي أمــامَ ســلامة عبيــد».



وقــالَ الدكتــور فيصــل حصيــد مــن الجزائــر: «جئْنــا إلى جبــل العــرب فوجَــدْنا جبلَــين: الأول جبــل العــرب، والثــاني ســلامة عبيــد».

وأمّـا الـمُستشارُ الثقافـيُّ في السـفارةِ الصينيـة فقـد قال: «نحـنُ سـنظلُّ مَدينـين للأسـتاذ سـلامة عبيـد».

وفي زيـارةٍ لأسرتـهِ، قـالَ: «لا يمكـن أن نفيَـهُ حقَّـه، لكننا نُقـدّمُ منحـةً مـجّانيّــةً لأحـدِ أحفـادهِ كـي يـدرسَ في بكـين عربـونَ تـذكارٍ ووفـاء».

تلكَ المنحةُ قُدِّمتْ بعد وفاتِه بثلاثةٍ وعشرينَ عاماً.



ولأنَّ الحجـرَ الكريـم يُعـرَف في إطـارِه، والرجـلَ في بيتِـه، فـلا بـدّ أن نذكـرَ بعـضَ مواقفِـه مـع أسرتِـهِ ومعارفِـه.

* كتبتُ، أنا ابنته ضحى عبيد، تحت عنوان «قرط الفُلّ»: «عادَ أبي من السفارة الصينية في دمشق بعدما أنهى تدريسَه للطلبة هناك. تأخَّرَ في الوصول إلى بيتنا الذي كان في حيّ القصور، فلمّا وصلَ قالت له أمي بلباقتِها المعهودة: كأنَّك تأخّرتَ يا سلامة؟! فردَّ باسماً: في جيبي مصروفٌ يكفي إمّا لركوب الحافلة، أو لأحضرَ لكِ قرطاً من الفُلِّ. وقد كان كهلاً، وكنّا ستة أولاد».

* موقفٌ آخر: رفضَ الذهبَ والمهرَ والمؤخّرَ عند زواجِ ابنته، وطلبَ في رسالته أن يكونَ العرسُ بلا بهرجةٍ زائفةٍ وتصنُّع:

«ليكُنْ عرسُكما مثلاً للشبابِ الطيّبين».

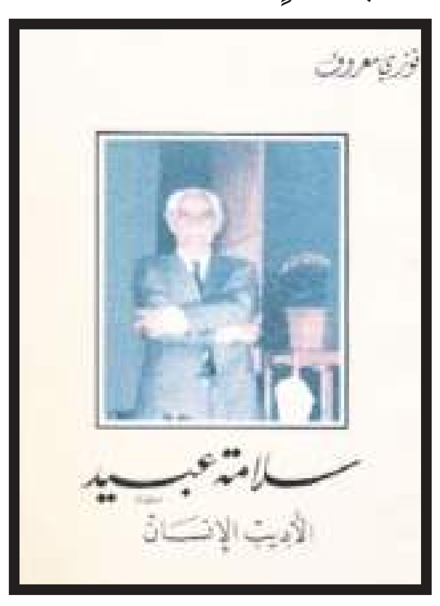
* ويومَ كانَ في الصين، قال مديرُ الجامعة: «رفضَ أن يأخذَ راتباً كخبيرٍ أجنبيٍّ. لقد كان راتبهُ مثلَ رواتبنا».

* لمّا كان مديراً للتربية مرَّ على مدرسةٍ في إحدى القرى، فوجدَ العُمّالَ يُرمّمونَ سقفَها لأنه «يدلفُ» ماءَ الشتاء، فشمّرَ بنطالَهُ إلى الركبتين، وأخذَ يُساعدُهم.

* وكتبَ لأختي المُدرِّسة بعدَ حرب تشرين: «خفّفي القلمَ الأحمر يا بنتي، فظروفُ الطالباتِ قاسيةٌ بعد الحرب».

* كتبَ أستاذٌ صينيٌّ: «برنامجُ أستاذنا ممتلئٌ، حتى إنه يشتغلُ في أيام الآحادِ والعُطَلِ مجّاناً».

أطفأَ خالدٌ حاسوبَه، وجمعَ أوراقَه، وبدأ يُرتّبُ بحثه، إذ كانَ يشعرُ بأنَّ الكتابةَ على الورق مُحبّبةٌ إليه، وأنها آمنةٌ أكثر، فالحاسوبُ قد يضيعُ أو يتعطّلُ، وقد يُمحى البحث بغلطةٍ ما.





طالبة في الصفّ السابع، رسمتْ صورةً للأديب
على دفتر الرسم العاديّ بقلم الرصاص، وهذه الطالبة تـخرّجت الآن
في كلية الفنون الجميلة

خاتمة

بعد أيام...

يقــرأ خالــدٌ مقتطفــاتٍ مــن بحثِــهِ عــلى زملائــهِ في الصــفّ، ويُنقِّــلُ نظـرَهُ مـا بـينَ أوراقِـه وأسـتاذه وزملائـه. كانــت ســعادتُهُ لا تُوصَــفُ، وهــو يلاحــظُ كيــفَ كانَ الأســتاذُ والطــلابُ يتابعونـهُ بإعجـابٍ واهتـمام... بعـد أن يَفْـرَغَ مـن القـراءة يُثني الأسـتاذُ عـلى جهـودهِ في البحـث وعـلى براعتِـهِ في إلقـاءِ القصائـد... قبـلَ أن يعـودَ خالـدٌ إلى مقعـدهِ، يســأَلُ أســتاذَه:

- هل تسمحُ لي بدقيقةٍ إضافية؟

- بالتأكيد، تفضّلْ!

ينقّلُ خالدٌ نظرَهُ بينَ زملائه، ويقولُ، وهو يبتسم:

ربّــمــا في يـوم مـا في المسـتقبل سـيقفُ طالـبٌ مـكاني هنا في هـذا الصـفِّ ليلقــيَ موضوعـاً عـن مبـدع في مجال مـا: موسـيقا، تمثيـل، أدب، فنـون، بحـث... وهـذا المبـدعُ قـد

يكـونُ واحـداً منـا لكـنَّ هـذا لا يـأتي دونَ مجهـود. سـأقدّمُ بعـضَ الاقتراحـات، ونسـتمعُ إلى اقتراحاتِكـم.

لاحظَ خالدٌ الاهتمام في عيونِهم، فتابع:

لدينـا في الصـف طـلابٌ يُـحبّونَ الموسـيقا، ولدينـا أصـواتٌ جميلـة. لماذ لا نأخـذُ إحـدى القصائـد، فنُلـحّـنها ونُغنّيهـا، ونضعهـا عـلى صفحـات (الفيسـبوك) أو عـلى (اليوتيـوب)؟ وأنتـم يـا مـن تمتلكـون مواهـبَ في الرسـم والتصويـر والنحـت! لمـاذا لا تقيمـون معرضـاً للوحـاتٍ مـن وحـي الأدب أو التاريـخ؟

تابَع خالدٌ:

يُـمكننا أيضـاً أن نُنشِـئَ مجموعـةً مـن الأصدقـاء لديهـم هوايـةٌ مشـتركةٌ، نتبـادلُ فيهـا المعلومـات والنقـاش وروابط الكتـب ومواقـع الأدبـاء والعلـماء والفنّانـين، ونتعـرّفُ إليهـم عـلى نحـوٍ أفضـل.

يبدأ خالدٌ بكتابةِ اسم موقع على السّبّورة:

يرفعُ أحدُ الطلاب يدَه، ويقول:

الكثيرونَ منا يُحبّون الزراعةَ، ويدركونَ أهميتَها. لماذا لا نختارُ شخصياتٍ أدبيةً أو فنيةً أو تاريخيةً، ونزرعُ أشجاراً وفاءً لهم، ونضعُ اسمَ كُلٍّ منهم إلى جانب شجرتِهِ للذكرى؟

يتحمّسُ آخر، ويقترحُ:

نُعِدُّ «فيديو» مناسباً لإحدى القصائد، ونُلقي قصيدةً مع اختيارِ موسيقا تصويرية مناسبة، أو نصنعُ فلماً وثائقيّاً قصيراً عن أحد المبدعين، ويمكنُ أن نستخدمَ هواتفنا المحمولة في إعدادِه.

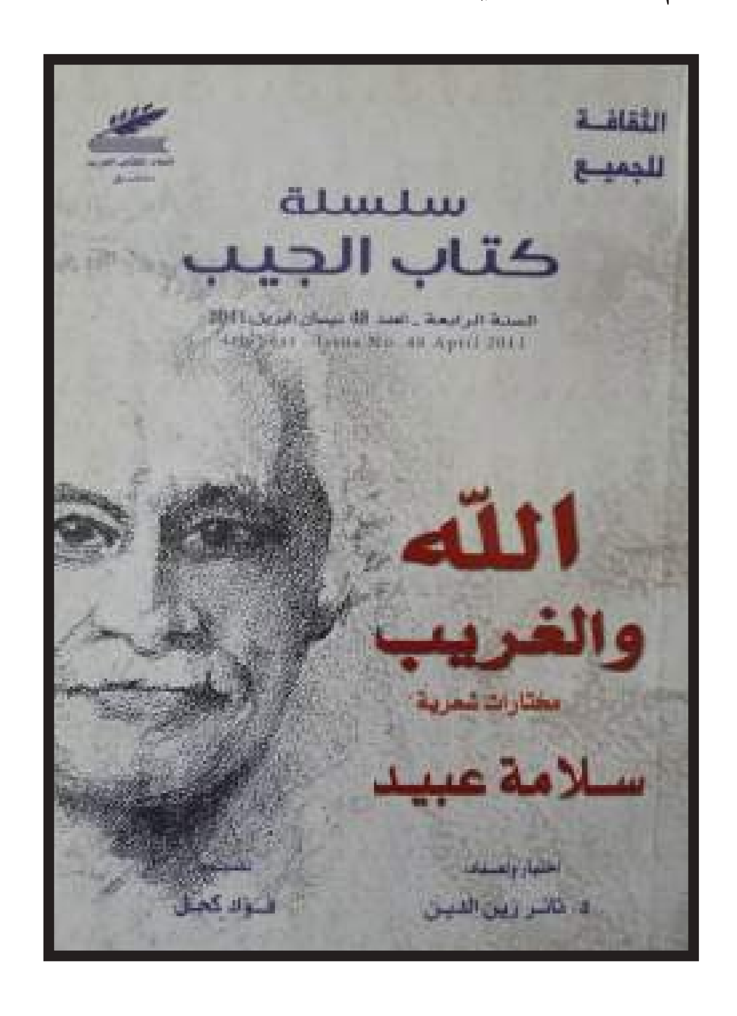
يزدادُ الحماسُ لتقديم الاقتراحات:

- نترجمُ قصيدةً أو فقرةً من قصّة إلى لغةٍ ثانية، أو نُقدّم تعريفاً بإحدى شخصيات وطننا بالإنكليزية.

انتهت الحصة، وقُرعَ الجرس، وخرجَ الطلابُ، وكلٌّ

منهم يقولُ لنفسِه: ستكون صورتي يوماً ما على غلافِ كتاب «أعلام ومبدعون».

- لمَ لا؟ من يدري؟ قد تكونُ أنت...



مُـقتطفاتٌ من بعضِ أعمال الأديب

من كتاب «ترجمات من الشِّعر الصينـيّ القديم»

في الرِّيف

ما أجملَ بيتي ﻓﻲ الرّيف!

ﻓﻲ الريفِ الفتّانِ النّضرِ

أختالُ بظلِّ حديقتهِ

وأُسرِّحُ ﻓﻲ الدُّنيا نظَري!

***

النهـرُ يمـرُّ به غَـرِداً

يـزهو بأكاليلِ الزّهـرِ

وصغارُ الأسماكِ انطلقَتْ

تتراقصُ نشوى بالـمَطَرِ

وتجوبُ الجوّ سنوناتٌ،

والشمسُ تُودِّعُ في خَفَرِ

***

أرجاءُ مدينتنا ازدحمَتْ

بأُلوفِ الدُّورِ وبالبشَرِ

وهُنا بيتانِ، ولي بيتٌ

في الريفِ الفتّانِ النّضِرِ

***

في خيمـةٍ بائسـة مظلمـة مـن خيـام العـرب الذيـن شُرِّدوا مـن فلسـطين، كانـت الأم تُـهدهدُ طفلها الـذي كان يصرخ مـن الجـوع والـبرد:

أغنيةُ أمّ

نَـمْ يـا حبيـبي نَـمْ
في حضنِـيَ الـدّافي
بالمـاءِ قـد يحلـمْ
جفـنُ الظّمـا الغـافي
والجـرحُ بالبلسـمْ
نـمْ يـا حبيـبي، نـمْ

***

جوعـانُ؟ مـا ذنـبي؟
ثديـي غـدا خِرقـةْ
أحسسْـتُ يـا حُبّـي
في ضمّـهِ حُرقـةْ

وقسـوةَ   العلقـمْ

نـم يا حبيبي، نـم

❋❋❋

الحـيُّ في أفـراحْ

ضجّوا معَ اللحنِ

والعـودُ والأقـداحْ

أزعَجْتَهُم يـا بني

وأنـتَ لا تعلـمْ

نَمْ يا حبيبي، نَمْ

(بيروت ١٩٤٨م)

العودةُ من الحقول

الغيمُ في الأفقِ البعيدْ
ينسابُ في لونِ الورودْ
والطيرُ أغفى، والنجومُ
تُطلُّ في حذرٍ شديدْ
ومن الحقولِ تعودُ أسرابُ الصبايا والشبابْ
والقُبّعاتُ مُزيّناتٌ بالزهورِ وبالتُّرابْ
يتحدّثونَ ويبسمونْ
ورأيتُ شيخاً لم يزلْ
يحنو، ويغرفُ بالدّلاءْ
فسألتهُ: ماذا عليكَ
لو استرحتَ مع المساءْ؟
فأجابَ، والقدمانِ ترتجفان من ثِقَلِ الدّلاءْ:
أهلي سَقَوا أرضي دماً
وأنا أُروّيها بماءْ

عودي

قصيدة من خيالِ طالب، مطلع ربيع ١٩٤٠م، وكان في الثامنة عشرة من عمره:

عودي معَ الأطيارِ عودي
يا بسمةَ الأملِ الشّرودِ

كادتْ تذوبُ حُشاشتي
وتقطَّعَتْ أوتارُ عودي

نَثَرَ الشبابُ على جبينِ الأرضِ أحلاماً وسِحرا
فتململَتْ وتثاءبَتْ
واستيقظَتْ تختالُ كِبرا

لبسَت وشاحَ البدرِ
واتّخَذتْ من الأزهارِ عِطرا

فترنّمتْ زمرُ الطيورِ
ورفرَفتْ في الجوِّ سَكرى

عادَتْ تذيبُ الحُبَّ والإلهامَ في الأجواءِ شِعرا

عودي مع الأطيارِ عودي

راحَ الشــتاءُ، وعــادتِ الأنهارُ تجــري في الربيعْ

رقراقــةً هــدّارةً، صدّاحــةً لــو تســتطيعْ

الشهبُ راحَتْ تستحــمُّ بمائِها الصافي البديعْ

والأرضُ أنعشَها البلالُ ومبسمُ الشمسِ الوديعْ

فتقمَّصَــتْ ثوبَ الشــبيبةِ بعدَ أكفــانِ الصقيعْ

عودي مع الأنهارِ عودي

عادَ الربيعُ ولم تعودي

يا بسمةَ الأملِ الشرودِ

كادتْ تذوبُ حشاشتي

وتقطَّعتْ أوتارُ عودي

ليتني أنسى

ليتـني أنســى زمانــاً طيّبـاً

من شبابي، مـرَّ بين الربوتينْ

وأحاديـثَ الهـوى ريانـةً

وتثنّي بردى والضفَّتينْ

فإذا ما الليلُ أرخـى سترَهُ

وتلاشى كلُّ همس واندثـرْ

وتهادى البدرُ في عليائهِ

ورنا النّجـمُ بخوفٍ وحذرْ

أذكرُ الماضي، وأبكي بردى

وشذا الوادي وأحلام السَّحَرْ

وزماناً، كلما الليلُ هفا

هيَّجتْ ذكراهُ دمعي فانهمَرْ

جِئتُ يا لبنان أنسى ما مضى

فإذا بي قد تناسيتُ غدا

وإذا بـي زهـرةٌ مهجـورةٌ

لم تزلْ تهفو إلى ذوبِ الندى

كلمـا هبّـتْ عليهـا نسـمةٌ

أجفلَتْ حيرى، وصاحتْ: بردى

(عاليه – لبنان ١٩٤٠م)

«إنّ في قصائـدِك مـا يأثـمُ الـمُلحّنونَ إذا توانَـوا في تلحينِهـا. أمّـا قصيـدة (لا، لـن أكـون) فقـد وددتُ لـو كانَ الأمـرُ بيـدي لحتّـمتُ عـلى المحفوظـات المدرسـية أن تسـلكها في عِقدِهـا».

أكرم زعيتر

لا، لن أكون

لا ، لن أكونَ
وما خُلقتُ لأنْ أكونْ
قصباً يُرجّفه النسيمُ، وتستخفُّ به الرياحْ
ويذلُّ في وجه الأعاصيرِ الغضابِ فيُستباحْ
ويظلُّ مُرتجفاً، يُقبّلُ في المساءِ وفي الصباحْ
قدمَ الأعاصيرِ الغضابْ
حتّى تَعفّرَ بالتُّرابْ
لا ، لن أكون

***

لا ، لن أكونَ
كما يشاءُ ليَ النصيحُ بأن أكونْ

غُصناً يميلُ كما تميلُ مع النسيماتِ الغصونْ

لَدْناً، يُسِفُّ وينحني، حتّى إذا عادَ السكونْ

أضحى يطاولُ في السحابْ

هاماً تُعَفَّر بالتُّرابْ

لا ، لن أكونْ

لا ، لن أكونَ

وما خُلقتُ لأن أكونَ كما يريدُ لي الزمانْ

قَصباً يُرجّفه النّسيمُ، ويستقيمُ إذا استكانْ

أنا في إباءِ السنديان، وفي عِناد السّنديانْ

فإذا الأعاصيرُ الغضابْ

دوَّتْ تطاولَ في السّحاب

(السويداء ١٩٥٣م)

كتب الأديب جميل حسن:

«سمعتهُ يُلقي قصيدةً، وكنّا طلاباً في المرحلة الإعدادية في تجهيز اللاذقية، وكان الاحتفال في سينما بشارع هنانو، وكنّا نفراً من الطلبة مع جماهير من الشعب نحتشدُ أمامَ باب السينما نسمعُ من خلالِ مُكبّر الصوت»:

مِن دمانا

من دمانا، أيُّها السّفّاحُ

من دمعِ اليتامى والأيامى

أترعِ الكأسَ مُداما

وأدِرْها بين أشلاءِ الضحايا

واستغاثاتِ الثكالى والسبايا

وزئيرِ المدفعِ الطاغي

وأنّاتِ الشظايا

أتْرعِ الكأسَ، وناوِلْهُ النّدامى

من دمانا، أيُّها السّفّاحُ

من دمعِ اليتامى والأيامى

***

أمطرِ الشامَ حديداً ولهيبا

واستبحْ فيها هلالاً وصليبا

واذبحِ المرضى

ولا تخشَ عذولاً أو رقيبا

عذِّبِ الأسرى ونَكِّلْ ما تشاءْ

وإذا الرعبُ تولّاكَ

وأضناكَ العياءْ

من دمانا، أيُّها السّفّاحُ

من دمع اليتامى والأيامى

أترعِ الكأسَ مُداما

***

مِن دمانا، أيّها السّفّاحُ

من دمع اليتامى والأيامى

أترعِ الكأس مداما

فلقد عشنا كِراما

وسنبقى أبدَ الدهرِ كِراما

(عـام ١٩٤٥م، لـمّـا كان قائـدُ الجيـش الفرنـسي يأمـرُ باقتحـام الـمُستشفيات والـمتاجر والـمعابد، ويأمـرُ بتهديـم المجلـس النيـابي).

***

«لـو جـازَ لي أن أنقـلَ قصيـدةَ (حنـين) برمّــتها لنقلتُهـا، ولكننـي أخـافُ مـن غـيرةِ أخواتِــها، وأن يعلـقَ الـشرُّ بينها وبينهــنّ، وأنــا كــدتُ أصــيرُ شــيخاً، ولا قِبَــلَ لي بإرضــاءِ العــذارى، ســنكتفي بــشيءٍ منهــا، ثــم نعــودُ إلى غيرِهــا».

مارون عبود من مقدّمة ديوان «لهيب وطيب».

حنين

نعمْ، أنا أحببتُ هذي الربوعَ

وبسـمةَ أجوائِهـا الصافيـةْ

وأحببـتُ فيها عبيرَ الزهورِ

وأنشـودةَ القمـحِ والسـاقيةْ

ولكـنَّ لي خافقـاً لم يـزلْ

يحـنُّ إلى بقعـةٍ نائيـةْ

إلى واحةٍ في صميمِ القفارِ

معفّـرة الـمُنحنى خاليـةْ

رُبى النّبك! هل تذكرينَ الخيامَ لديكِ مبعثرةً جاثية؟!

تحـاولُ شمسُـكِ إحراقَهـا

وتصفعُهـا ريـحُكِ السـافيةْ

وقومـاً عرينُهُـمُ شـامخٌ

رهيـبٌ، بسـمرتهِ القاسـيةْ

أبَـوْا أن يَـروّهُ لغـيرِ العُلـى

وأن يسـتبدَّ بـهِ الطاغيـةْ

وطفلاً سباهُ جلالُ القِفار وأفياؤها في المسا ضافيةْ

صغـيراً، بـلا مئـزرٍ أشـعثاً

يـروحُ ويغـدو مـعَ الماشـيةْ

يُـردّدُ مـا جـالَ في رأسِـهِ

وأغنامُـهُ ترتعـي ثاغيـةْ

فتُصغي الصحارى لأنشودةٍ

مخلّعـةِ الـوزنِ والقافيـةْ

(السويداء ١٩٤٤م)

هتفَ النَّصر

هتـفَ النّصرُ وغنّـى لبُنـــاةِ المجدِ منّا

لـلألى كانـوا بكفِّ الحقِّ سيفا ومِـجنّا

وتلفَّتْنـا إلى الماضـي البعيـدْ

فـإذا التاريـخُ مـن صُنـع الجـدودْ

يمـلأُ الدنيـا بآيـاتِ الخلـودْ

وتلفَّتْنا إلى الماضي القريبِ المُستباحْ

فإذا الأشبالُ تـمضي من كفاحٍ لكفاحْ

وتمنّــى العـــزُّ أسيافاً، فكُنّـا مـا تـمنّى

وأرادَ اللّهُ قُـوّاماً على الحقِّ،فكُنَّا ما تـمنّى

(السويداء ١٩٥٢م)

الربيعُ في الجولان

سيرجعُ الربيعُ للجولانِ

من جديدْ

وترجعُ الطيورُ

للغابةِ القديمةْ

تبحثُ عن أعشاشِها الحَطيمةْ

وترجعُ الزهورُ

تبحثُ عن فراشةٍ شريدةْ

ونحلةٍ طريدةْ

وترجعُ الصغيرةُ اليتيمة

تُسائلُ السُّفوحَ والحقولَ والبيادرْ

عن والدٍ وأخوةٍ ظلُّوا بلا مقابرْ

مرَّتْ على أشلائهم كتائبُ الحديدْ

فدمّرَت أشلاؤهم كتائبَ الحديدْ

وانتصرَ الشهيدْ

(بكين ١٩٧٤م)

ذكرياتُ الطفولة

مقطعٌ من قصة «هديّة أمّ»

كم كانت أمُّ نايف تودُّ أن ترسلَ شيئاً ما إلى ولدِها معَ الشيخ باز! إلّا أنّ قلبَها كان ممتلئاً مفعماً، والغرفة اللاجئة إليها فارغةً تصفر.

كم تمنّتْ لو استطاعتْ أن تُرغمَ تلك النفسَ الكبيرة على أن تستدينَ، ولو علبةَ راحةٍ من أجلِ ولدِها! ولكنها لن تستدين... لن تستدينَ شيئاً لا تقدرُ على إيفائهِ.

هكذا كانت أفكاري تحومُ حولَهم في السويداء، عندما دقَّ جرسُ العشاء، فدسستُ الهديّةَ تحتَ المخدّة، ونزلتُ إلى مطعم المدرسة.

كانَ الطعـامُ شـهيّاً تلـك الليلـة، وكان سـخيّاً أيضـاً. مـلأ لي واحـدٌ مـن رفاقـي صحنـاً عارمـاً، وأنـا في شـبهِ ذهـول. مـددتُ يـدي إلى الرغيـف، أخـذتُ منـهُ قطعـة، ظلّـتْ بـين أناملـي برهـةً. أخـذتُ الملعقـة، دسسـتُها في فمـي. لم أسـتطع أن أمضـغ. أنـتَ مريـضٌ؟

- مريضٌ، نعمْ.

كنـتُ أتصـوّرُ الأمَّ وأطفالَـها، في السـويداء، بـلا مـوردٍ ولا عمـل، لاجئين في غرفـةٍ صغـيرة واحـدة. مـاذا يأكلـون في هـذه السـاعة التـي تتـماوجُ فيهـا هنـا أبخـرةُ اللحـم والرّزّ والخبـز الطـازج أمـامَ عينـيّ وفي أنفي؟!

تركـتُ رفاقـي يأكلـون، ويتهامسـون، وعـدتُ إلى فـراشي، أبكـي بسـكون، وأشـدُّ مـن جديـد عـلى قطعـةٍ صغـيرةٍ مـن فضّـة، عـلى الفرنكـين اللذيـنِ حملهـما الشـيخُ بـاز مـن السـويداء إلى «عاليـه» هديـةً مـن أمٍّ إلى ولدهـا.

أوّاه! ما كانَ أقسى هديّتكِ وما أمـرَّها يا أمي!

ضحى سلامة عبيد

- من مواليد محافظة السويداء ١٩٥٧م.

- إجازة في الأدب العربي/ جامعة دمشق.

- عملت في كلية اللغات الشرقية في جامعة بكين مُدرّسة للغة العربية.

- نشرت في بعض الدوريات (المحلية والعربية).

سلسلة أعلام ومبدعون

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	حنّا مينة	د. شوقي المعري
٢	سهيل عرفة	محمود يوسف
٣	محمد الفراتي	أسعد الديري
٤	عزيزة هارون	عيسى فتوح
٥	جودة الهاشمي	د. هشام الحلاق
٦	تيسير السعدي	وفيق يوسف
٧	أمين بن عبد العزيز الخياط	أحمد المفتي
٨	د. مسعود بوبو	د. محمد قاسم
٩	د. عبد الكريم اليافي	جمانة نعمان
١٠	النهضوي الزهراوي	خليل البيطار
١١	محمد وليد مارديني	إيمان مارديني
١٢	عبد الرحمن الكواكبي	محمود يوسف
١٣	نديم محمد	منذر يحيى عيسى
١٤	قمر كيلاني	لينا كيلاني

١٥	محمد الماغوط	ناظم مهنا
١٦	الدكتور سامي الدروبي	بثينة الخير
١٧	الفراهيدي	بيان الصفدي
١٨	رياض الصالح الحسين	نذير جعفر
١٩	زكي الأرسوزي	إسماعيل الملحم
٢٠	رضا سعيد	أحمد بوبس
٢١	عبد السلام العجيلي	د. علياء الداية
٢٢	فاخر عاقل	ديب علي حسن
٢٣	أبو خليل القباني	هناء أبو أسعد
٢٤	فؤاد الشايب	عيسى فتوح
٢٥	صدقي إسماعيل	محمود يوسف
٢٦	عيسى عصفور	مطيع حمزة
٢٧	بدر شاكر السيّاب	بيان الصفدي
٢٨	ممدوح عدوان	ناظم مهنا
٢٩	هاني الراهب	حسام الدين خضور

٣٠	صياح الجهيم	موفق نادر
٣١	ممتاز البحرة	رامز حاج حسين
٣٢	شاعر الشام خليل مردم	سيف الدين القنطار
٣٣	عبد القادر عياش	سراج أحمد الجراد
٣٤	سعد الله ونوس	جوان جان
٣٥	حيدر يازجي	أريج بوادقجي
٣٦	نعيم اليافي	د. أحمد علي محمد
٣٧	سعيد حورانية	حسن م. يوسف
٣٨	وصفي القرنفلي	مصطفى الحسون
٣٩	سعد صائب	سراج أحمد الجراد
٤٠	ألفة الإدلبي	د. محمد العنيزان
٤١	محمد عمران	منصور حرب هنيدي
٤٢	محمد محفل	ناظم مهنا
٤٣	شكيب أرسلان	د. جمال أبو سمرة
٤٤	عبد الغني العطري	عيسى فتوح

٤٥	عبد الرزاق جعفر	سراج أحمد الجراد
٤٦	فاتح المدرس	حسن م. يوسف
٤٧	فريد الأطرش	د. فايز الداية
٤٨	نهاد قلعي	هناء أبو أسعد
٤٩	دلال حاتم	قحطان بيرقدار
٥٠	عبد الباسط الصوفيّ	د. جمال أبو سمرة
٥١	بندر عبد الحميد	بيان الصفدي
٥٢	نزيه الشهبندر	علي العقباني
٥٣	سعيد الأفغاني	د. محمد قاسم
٥٤	عبد المعين الملوحي	ناظم مهنا
٥٥	نزار قبّاني	د. نزار بريك هنيدي
٥٦	سلامة عبيد	ضحى عبيد

«سلامة عبيد» شاعرٌ ومُؤرِّخٌ وروائيٌّ ومُترجم، ومُهتمٌّ كذلك بالفنون والآثار والبيئة والمسرح. سافرَ إلى الصِّين لتدريس اللُّغة العربيّة. وفي كُلّيّة اللُّغات الشَّرقيّة في بكين، كانَ لهُ دورٌ كبيرٌ في إنشاءِ قسم اللُّغة العربيّة، وقد درّبَ كادِرَهُ التّدريسيّ، ووضعَ عدداً من الكُتب الجامعيّة للقسم، وألّفَ القاموسَ الصّينيّ -العربيّ الكبير، وهو الأوّلُ من نوعِهِ في العالم. وثّقَ أحداثَ الثّورة السُّوريّة الكُبرى في كتابٍ يُعَدُّ مرجعاً تاريخيّاً مُهمّاً، كما وثّقَ الأمثالَ الشّعبيّة، وهو صاحبُ رواية «أبو صابر» الرّائعة، وديوان «لهيب وطيب» وديوان «الله والغريب». كانَ مُحدِّثاً لَبِقاً، مُتقِناً اللُّغتَيْن الإنكليزيّة والفرنسيّة، وكانَ شخصاً محبوباً يَحترِمُهُ الجميع.





www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب- ٢٠٢١م

سعر النسخة ٣٠٠ ل.س أو ما يعادلها